كتاب النفس

لابن باجة الأندلسي

- ٧ -

الفصل السادس

القولُ في الشمّ

والشمّ هو إدراك معنى المشموم كما قلناه قبل ، وهو مرتب في الأنف . وقد يجب أن نسلك ذلك السَّنَن فنفحص عن القابل الأول للمشموم ما هو ؟ فبذلك يتبين لنا ما هو الشمّ بالذات ، وما هو له بالعرض ، كما تبين ذلك في البصر . فإن اللون هو المرئيّ ، والقابل الأوّل هو البسيط . ويشبه أن تكون الحواس الثلاثة الباقية جنساً آخر من الوجود ، كما تبين ذلك ، وإن هذه الحاسة (١) أشد ضرورة في سلامة المغتذي من الأولين . وبحقّ (٢) كان ذلك ، لأنها أحوال من أحوال الممتزج . فإن اللون والقرع يوجبان تغيّر الممتزج ، لما يوجدان (٣) للممتزج لا بالعرض < و > لا بالذات . وان اللون لا يتبع المزاج كما تبين ذلك في مواضع أخر . وقد لخص ذلك الإسكندر الأفروديسي (٤) .

---

(١) المخطوطة : الحواس .

(٢) المخطوطة : نحو .

(٣) المخطوطة : كما يوجد .

(٤) ترجمة ابو عثمان الدمشقي ، نسخة جيدة لهذا الكتاب موجودة بخزانة اسكوريال ، ميدرد ، رقم ٧٩٤ (راجع : Casiri : Bibliotheca Arabic—Hispana Escurialensis, vol.. I. p 242. Foll. 69 b—17 a) . ولقد جهدتُ لحصول نسخته الشمسية ولكنهم رفضوا الطلب وقالوا إن الأب مُرّانا يريد ان ينشر هذا الكتاب بتحقيقه . ولكن ابن باجة يشير ههنا الى تصنيفه المسمّى « بمقالة الاسكندر في الآن وأي شيء هو على رأي أرسطو » ، وكان في محتويات نسخة برلين المفقودة الآن : Ahlwardt : Die Handschriften.., vol IV. No. 5060 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمشموم الأوّل هو الرائحة . فلنقل ما الرائحة . فأما أن كل ذي رائحة فهو ممتزج فكذلك تبين عند تصفح الأجسام . فالامتزاج [١] يتقدم الرائحة في الجسم بالطبع . فأما أنه ، مع أنه مقدّم بالطبع ، ذاتيّ فبيّن أيضاً عند تصفح الرائحة وتولدها ، كما عرض ذلك في (ورقة ١٥٨ ب) الألوان ، فإن التصفح انما وقع لبعضها ووقع اليقين في الكل . والأمر في أمثال هذه ، على ما يقوله أبو نصر ، انها إنما تصير يقينية في زمان وهي مباينة للأزمان في الكثرة والقلة ، فإنا نشاهد في الصيف في بعض البلاد تراباً ليس له رائحة فاذا حدث عليه قطر المطر حدثت له الرائحة عند ملاقاة المطر له ، ولا سيما متى كان المطر من سحاب قريب فانه عند ذلك يكون حارّاً وربما كان ثلجاً .

وكذلك أيضاً يتقدم بالطبع وجود الطعم في ذي الرائحة الرائحةَ فتكاد الرائحة أن تكون هي طعماً ، ولذلك تعرف طعوم أشياء كثيرة من روائحها . وأكثر الحيوان غير الناطق إنما يستعمل هذه الحاسة في معاشه [٢] كما يوجد ذلك في النسر وفي الكلاب وفي الدواب . فإن الخيل تنصرف عن أغذيتها إذا اقتربت بها [٣] رائحة غير رائحتها الطبيعية . ولذلك كانت هذه الحاسة في غير الإنسان قوية وكانت في الإنسان ضعيفة [٤] لأن الحيوان إليها أحوج .

ومن شأن هذه في كثير من الحيوان أن لا يحس [٥] حتى يستنشق [٦] وهو

---

(١) هذا الرأي أيّده ابن رشد كما يظهر من تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٣٩ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٢) راجع أرسطو : De Sensu. 5. 443 b 24 sq; 444 b 1 — 14; 30 — 445 a .

(٣) لعل الصواب : اذا افترنت بها ، او اذا اقتربت منها . (لجنة المجلة)

(٤) راجع أرسطو : De An. ii. 9. 421 a 9 .

(٥) المخطوطة : لا يحس .

(٦) راجع ارسطو : De An. ii. 7. 419 b 1 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما كان له رئة [١] . فإنه لو وضع ذا [٢] الرائحة على الأنف لما أحس [٣] حتى يستنشق . والرائحة قد يتحرك بها الهواء على بُعد من المستنشق بقدر لا تحركه [٤] هواء النفس وذلك مشاهد .

وهذه الحاسة عليها حجاب [٥] لا ينفتح . فاذا وقع الاستنشاق انفتح ذلك الحجاب فوصل ذو الرائحة إلى الحاسة . ولذلك متى أراد الذي يشم إيصال وجود الرائحة لم يتنفس دفعة بل يتنفس في زمان طويل أو جعل التنفس متلبثاً .

ومما يظهر أن القابل للرائحة هو بالجملة مجانس للهواء وليس هذا فقط بل هو

---

(١) أيضا : De An. ii. 8. 420 b 23; De Sensu. 5. 444 b I sq. .

(٢) المخطوطة : ذي .

(٣) هذه هي حال سائر الحواس فانها لا تدرك كل ما يلاصقها ، راجع ارسطو : De An. ii. 9. 421 b 14 — 19 ، أيضا تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٥١ س ١١ . وايضا المخطوطة الفارسية ، بودليانا ، Ous. 95 ورقة ٤٧ الف س ٢٠ : « واين حواس ديگررا كه وصف كرديم نه چنين باشدكه أن حواس قادرهوادرميان نباشد محسوسات خوددرنيابد ، چون حس بينائى وشنوائى وبويائى كه اگر مردم چيزديدنى رابر حدقه چشم نهدنه بيند ، واگرچيز آواز دهنده برپوست درون گوش نهد آوازآن نتواند شنيد واگرچيز بويارا ظاهر بجراى بينى نهد بوى ان نيابد .

(٤) بقدر لا يحركه . (لجنة المجلة)

(٥) لم يصرح أرسطو أنه هناك غشاء على المناخر يزول وقت الاستنشاق ، ولكنه زعم ان حاسة الشم لها شيء مثل الغشاء كما ان البصر له غشاء في العين يحفظها . (De An. ii. 9. 421 b 29 — 422 a 4) ، ولكن ابن باجة تيقن به ، لعله أخذه مما كتبه أرسطو في كتاب الحاس والمحسوس (5. 444 b 21 — 25) ان الحيوانات التي تتنفس يزول فيهم شيء شبيه بالغشاء من آلة الشم وقت التنفس ، والحيوانات التي لا تتنفس لا يزال هذا المانع فيها مرتفعا ، راجع تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ص ١٥٠ . والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ الف : « واما ديگرجانوران كه راه گذريينى دارند بالاى گذر گاه حجابى بود شان كه هوارا بازدارد ازرسيدن بدان منافذ مگر انكه برگشند وبجنبا نندوهمچنين نتوانندديد مگر كه چشم بگشايند » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إنما دخان أو بخار ما يعرض للبخورات ولكثير من المطبوخات . وقد فصلت هذه كلها في كتاب الحاس والمحسوس [١] . ولذلك يبقى في كثير من الأجسام الصلدة روائح الأجسام بعد ذهابها ، مثل ما يبقى في أواني النحاس رائحة الخمر والعسل بعد غسلها زماناً طويلاً . فتبقى في الأوعية روائح الأجسام المودعة فيها ، ولذلك قد تشتبه على الشم الأجسام التي لها تلك الروائح كما عرض ذلك في السمع [٢] . فإن هاتين الحاستين تفارق محسوساتها [٣] وقوابلها [٤] ما هي منه . وليس كذلك البصر ولا اللمس . فلذلك تدرك [٥] تانك الحاستان الأطوالَ والأشكالَ أكثر من هذه .

وأما الذوق فسنبين أمره كيف هو . ولما كان الممتزج على ما تبين في مواضع أخر ، وقلناه نحن قبل . إما أن يكون بنضج أو دون نضج ، كما يعرض ذلك في الذهب والفضة ، وما هو بنضج . والنضج يقال (ورقة ١٥٩ الف) بعموم وخصوص ، فإذا قيل بعموم كان كالجنس للشيء والطبخ ؛ وإذا قيل بخصوص كان مرادفاً للطبخ .

وتبين أن النضج إنما يكون في المختلط من رطوبة ويبس . فإذا أنضجته الحرارة نوعاً من النضج حدث عند ذلك في ذلك الجسم الممتزج الذي يقال له الطعم . ولذلك كل ذي طعم فهو ذو رطوبة ما . فإذا اتفق لهذا امتزاج آخر من رطوبة ويبوسة اختلطت بهذه ، ونضجت نضجاً ، فما حدث عن ذلك الرائحةُ ، وقد تلخص أمرها في الحاسّ والمحسوس [٦] .

---

(١) راجع أرسطو : De Sensu. 5. 443 a 21 — 30 .
(٢) راجع النص آخر ورقة ١٥٧ ب .
(٣) المخطوطة : محسوساتها .
(٤) المخطوطة : قوابلها .
(٥) المخطوطة : قامل .
(٦) بيّن ابن باجة غاية الشم في كتاب الحس : De Sensu. 5. 443 a 7 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وتبين أن الرائحة تكون عندما تنفصل [١] الرطوبة اليبوسة ذات الكيفية وتنضج بالحرارة نوعاً من النضج ، ولذلك توجد هذه في النباتات أكثر مما توجد في الحيوان وفي الأحجار .

فذلك الحاصل في تلك الرطوبة الممتزجة باليبوسة التي قد أنضجتها الحرارة ـ ما كان منها شجراً كان ظاهر الرائحة بنفسه . وما لم يكن ظاهر الرائحة بل كان ذا رائحة للقوة فلذلك يحتاج إلى النار وإلى حرارة . ولذلك متى دُلك ذو الرائحة أو فرك [٢] وبالجملة إذا استحرّ ظهرت رائحته [٣] . فان الرائحة تحتاج إلى حرارة منضجة أولاً فقد تكتفي بذلك مثل المسك واللُبنى السائلة [٤] ، وقد لا تكتفي فتحتاج الى حرارة أخرى كعود الطيب [٥] والسندروس وما شاكل ذلك .

ولما كان الشمّ هو إدراك معنى المشموم ، وكان وجود المشموم هو الوجود ، لم يدرك الشم شيئاً من لواحق المشموم من غير الطعم . ولذلك لا [يدرك] الشمّ إلاّ بالعرض . وذلك إذا اتفق أن يكون ورود المشموم من جهة واحدة تميزت له جهة الشم [٦] بالعرض . فتميزت له جهة الشم [٧] بالقصد الثاني .

---

(١) راجع أرسطو : De Sensu. 5. 443 a 1; b 3; 445 a 14; 4. 441 b 18 .

(٢) أيضاً : 4. 441 b 18; 5. 443 b 16 .

(٣) وابن رشد تبع ابن باجة في البيان ، تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٤) راجع ابن رشد ، تلخيص ، الاهواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ٣٤ ، وراجع كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٥٠ ، والمخطوطة الفارسية ورقة ٤٧ ، س ٦ وحس بويائي همان شنامد كه موافق وخوش بود ويا مخالف وناخوش ، وتواند كه بوى گل را ازبوى ميمه جدا كندونه بوى صبررا ازبوى مزبل كه همين داينم كدبوييهاى ناخوشت يابوييهاى ناخوش .

(٥) مشهور بالعود الهندي ، راجع ابن رشد ، تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٤٠ .

(٦) المخطوطة : المشموم .

(٧) المخطوطة : المشموم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفصل السابع
القول في الطعْم

وقد تبين وجود الطعم أيّ وجود وجوده [١] ، وإن الطعم لا يمكن أن يكون لا في رطب ، ولا في يابس ، ولذلك لا يوجد للرماد ولا للماء الصرف ولا للهواء . ولذلك يوجد لماء البحر طعمٌ ولماء الآجام لليبوسة التي تخالط تلك المياه .

فيبولى الطعم الرطوبة [٢] ، ولذلك متى يبست آلة الطعم لم تجد طعم الأشياء الغالبُ عليها [٣] اليبس ، وتجد لذلك طعم الرطب . فإن الطعم يحرك رطوبة الفم فيقبلها على نحو ما يقبل الهواء اللونَ . وتحرك الرطوبة حاسة الذوق [٤] . ولذلك متى كان رطباً قامت الرطوبة الحاملة مقام الرطوبة الطبيعية . فالرطوبة يفتقر اليها الطعم أما أوّلاً ففي [٥] أن يكون موجوداً ، وثانياً لأن يكون محسوساً .

ولذلك جعلت النغانغ [٦] لتصنع الرطوبة الطبيعية التي بها يكون الذوق .

---

(١) راجع النص نفسه ، ورقة ١٥٩ الف ، ... فما حدث عن ذلك الرائحة الخ .

(٢) قال ارسطو إن الجسم المشموم والمطعوم يتعلق بشيء سائل : De An. ii. 10. 422 a 10 .

(٣) المخطوطة : عليه .

(٤) راجع أرسطو .

(٥) المخطوطة : هي .

(٦) خالف ابن رشد رأي الاسكندر الافروديسي الذي كان يرى « ان هذه القوة ليست تحتاج الى متوسط » ، واستدل قائلا « فن هذه الاشياء كلها قد يظهر ايضا ان هذه الحاسة انما تدرك محسوسها بتوسط هو هذه الرطوبة ، وقد صرح بذلك ابو بكر بن الصائغ في كتابه في النفس وقامسطيوس » ، الاهواني ، ص ٤١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهي ممتزجة من يبس ورطوبة نحواً من الامتزاج ، ولذلك هي لزجة . وهذه الرطوبة (ورقة ١٥٩ ب) هي غير [١] ذات طعم لئلاّ يعوّق طعمها قبول طعوم المتضادة لها [٢] . فلذلك يجد المحموم الطعوم كلها مُرّة [٣] ، لأن الرطوبة التي في فمه مُرة لمخالطة الدخان اياها ، وقد تلخص ذلك في غير هذا الموضع .

والطعم ضروري في الحيوان [٤] ، ولذلك لا يوجد منه ما لا يطعم إلا قليل مثل جنس ذوات الأصداف واسفنج البحر . ويشبه أن تكون هذه تكتفي باللمس في اغتذائها لبعدها عن الاعتدال ، ولأنها تجري مجرى النبات .

ولذلك لا يحسّ الذوق بشيء من لواحق ذي الطعم غير الطعم ، ولذلك يصير الطعم ألذّ وأكره بكونه أرطب وأيبس وأحرّ وأبرد ، وذلك بيّن بنفسه .

* * *

الفصل الثامن

القول في اللمس

واللمس هي القوة على إدراك الملموس . والملموس قد يظن به أنه أصناف كثيرة [٥] ، فتكون قوة اللمس أصنافاً كثيرة ، إلاّ أنها في موضوع واحد .

---

(١) المخطوطة : تكرّر « هي غير » .

(٢) لعل صحيح التعبير : الطعوم المضادة لها . (لجنة المجلة)

(٣) راجع ارسطو : De An. ii. 422 b 8 .

(٤) ايضا : De An. iii. 12. 434 b 10 — 24; De Sensu. I. 436 b 13 .

(٥) وابن باجة اوضح قوله في كتاب الحيوان (ورقة ٩٥ ب) واللمس فقد يظن به انه اصناف كثيرة ، فان اللمس هو الحار والبارد والرطب واليابس والصلب واللين ، وهذه القوة واحدة كانت او اكثر من واحدة فهي الفهم وما جرى (ورقة ٩٦ الف) مجراه . وهذا الحس يحتاج الفهم اكثر مما يحتاج اليه غيره ولذلك كان الانسان احسن لمسا من ساير الحيوان لان الفهم فيه كثير وليس له شعر ولا ريش ولا فلوس ولا خزف بل الجلد » . وقد أشار الى هذا أرسطو حينما قال (De An. ii. 422 b 18) : « إن لم يكن اللمس حاسة بل كان مجموعا لحواس فلا بد من أن يكون الملموس اكثر من واحد » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهـذه الحاسة هي شايعة[١] في بدن الإنسان ، وليس لها عضو مخصوص كما لسائر الحواس . بل لها قابل محدود النوع في كل حيوان ، وهو اللحم أو ما يقوم مقامه فيما لا لحم له[٢] . فإن الجلد ليس فيه الحاس الأول[٣] لأنه اذا كشط أحسّ اللحم ليس بأنقص من إحساس الجلد ، بل هو أحرى أن يظن به أنه أشد لمساً .

وهذه الحاسة على ما تقدم ؛ هي التي لا يخلو[٤] منها حيوان وبها يكون الحيوان حيواناً . ولذلك متى فقدت هذه الحاسة ارتفع معنى الحيوان عن ذلك الشخص . ولا تخلو[٥] < من > أن يكون لها لمسٌ .

ولما كانت الملموسات ، على ما تبين في الثانية من الكون والفساد[٦] ،

---

(١) وبيّن ابن باجة ايضا ، (ورقة ٩٥ الف) . وهـذه القوة (أي قوة اللمس) ليس لها موضوع منفرد كالعين للبصر والمنخر للشم وثقب الأذن للسمع بل تجدها شايعة في الجسد كله ومحيطة به .

(٢) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : والحس منه ما هو شامل الأعضاء كاللمس وآلته اللحم او ما يقوم مقامه فسيوجد في كل عضو له شركة في الحس لحم . وأمّا ان يكـــون منفرداً كالحواس الاربع . وانظـــر أرسطو : De An. II. 422 b 20; 423 a 13 .

(٣) استدلّ ابن باجّة قائلا : ورقة ٩٦ الف : فجلد الانسان فقد يظن به أنه الحاسّ الاوّل واما انه ليس الحاسّ الأوّل فذلك بيّن لأن اللحم يحس دون الجلد اكثر مما يحس والجلد عليه .

(٤) المخطوطة : لا يخلوا .

(٥) المخطوطة : ولا تخلوا .

(٦) ايضا ابن باجة ورقة ٨٧ الف : : ان كل واحد من هذه (اجسام اربعة) فهو جسم ملموس وذلك معروف بنفسه ، ولما كانت الأجسام المشاهدة ليست البسائط بل ما كانت اقرب الى البسايط ظن بأن المعرفة بما نشاهد ليست مكتفية بنفسها على ان ترتد بالقول . فنقول ان الحار والبارد والرطب واليابس امور محسوسة فهي موجودة . وهذا علم اول مكتف بنفسه فظاهر قريباً من ذلك انها في موضوع واحد وان قوام جسم وصورته من حيث هو ما هو ليست واحدة منها . وانواع الأجسام المشاهدة فكل واحد منها فيه ضرورة اثنان من هذا الاربع لا يخلو جسم منها ؛ ارسطو : 27 ,423 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

يرجع كلها إلى الحار والبارد والرطب واليابس ، وكان هذا < ن > التضادّان ليس يرجع أحدهما إلى الآخر فإن كل حس فإنه لمتضادّين [١] . وقد يعرض للمتضادين أن يكونا موضوعين لتضاد آخر . مثال ذلك اللون : أطرافه الأبيض والأسود ، والأبيض موضوع البراق والايراق [٢] ، والضوء طرفاه النقل والحدة وهذه موضوعة الأملس والخشن والخفي والجهير .

وكما أن تلك حاسة واحدة تتبعها قوى كثيرة كذلك يشبه اللمس [٣] . وبالجملة فإن القوى تتبع الموجودات في ترتيب وجودها . لكن الرطب واليابس والحار والبارد لا تتابع بينها على ذلك الوجه فإنه لا واحد منها [٤] موضوع الآخر لكن بينها تتابع آخر بالذات وتلازم ، وقد تلخص ذلك في غير هذا القول .

[ورقة ١٦٠ الف] فلما كانت هذه لا تنفصل في وجودها في الموضوع فلذلك كانت القوى اللامسة لا تنفصل وكانت في حاسة واحدة .

ولما كان كل جسم كائن فاسداً فهو ملموس . ولا يخلو [٥] الموضوع من هذه المتضادات كما يوجد الموضوع خالياً من سايرها ، فإنه قد يوجد جسم لا لون له [٦] ويوجد جسمٌ لا صوت له وذلك في الرائحة والطعم ، فلذلك اتخذت

---

(١) راجع ارسطو : De An. II. 424 a 7 .

(٢) انظر ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٤٦ ، حيدراباد ص ٤٠ .

(٣) وصف ابن سينا قوة اللمس في الشفا ورقة ١٦٦ الف : ويشبه ان يكون قوى اللمس قوى كثيرة كل واحد منها يختص بمضادة فيكون ما يدرك به المضادة التي بين الثقيل والخفيف غير التي يدرك به المضادة التي بين الحار والبارد ، فان هذه افعال اولية فحس يجب ان يكون لكل جنس منها قوة خاصة الا ان هذه القوى لما انتشرت في جميع الآلات بالسوية ظنت قوة واحدة .

(٤) المخطوطة : فان ما لاواحد منها .

(٥) المخطوطة : لا يخلوا .

(٦) هذا مخالف لما قال ارسطو في De Sensu. 6. 445 b 12 ، وانظر ايضاً : De An. II. 7. 418 b 27 — 30 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

آلات تلك من أمثال هذه الأجسام . فأما هذه فلما لم يكن ذلك كانت من المعتدل لأن المعتدل هو بوجه ما ولا واحد من الطرفين بالقوة . فلذلك كانت آلة اللمس معتدلة من الحار والبارد والرطب واليابس . ولذلك لما ظنّ جالينوس أن اليد هي آلة اللمس حكم بأن جلدة اليد هي المعتدلة بين الأطراف . فنقل ما للجسم الذي فيه القوة اللامسة إلى بعض آلات اللمس . وهذا الجسم هو الحار الغريزي . ولما لم يكن فيه الاعتدال لذلك وصلته الأجسام التي يسميها أرسطو سيلا ويسميها جالينوس عصباً لأنها تأتي بالبرودة النفسانية من الدماغ . ولذلك أيّ عضو لم يتصل به سيل من الدماغ لم يكن فيه لمسٌ ، ولذلك لا يلمس الكبد ولا الكلى ولا العروق الضوارب وهي مملوءة من الروح الغريزي .

فأما كيف تكون برودة نفسانية ؟ وذلك قد تبين خلافه . فإن آلة النفس هي الحار الغريزي . فإن البرودة تقال على الأطراف وعلى الأوساط ، والتي في الدماغ لا يمكن أن تكون طرفاً ، فإنما هي وسط وهو ما بين المعتدل والطرف . وإنما يكون الوسط وسطاً يخالطه الضد ، فتلك البرودة تخالطها حرارة نفسانية . ولذلك تصير الحرارة إلى الدماغ من القلب في الشرائين وتصير عليه الشبكة المشيمية لتسكنه هذه الحرارة المعتدلة لبرودتها ، وبها تكون في تلك الرتبة . فهي نفسانية من جهة ما هي حرارة لا من جهة أنها هي بالرتبة تلقب بالطرف .

وقد يتشكك على حاسة اللمس . منها أن كل حاسة فإنها متحركة عن المحسوس حسب ما تلخص القول المجمل في الحس [1] . والمحرك منه قريب ومنه بعيد ، ومنه بالذات ومنه بالعرض . والبعيد الذي هو المحسوس ، والقريب

(١) راجع ارسطو : De Sensu. VI. 446 a 21

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الذي هو الخادم كالهواء للبصر والسمع والشمّ ، والرطوبة للذوق . فقد ينبغي أن نطلب [١] هنا مثل ذلك .

وثامسطيوس يسلم أن الهواء تخدم مثل ذلك كله . فانه شيء لا يمكن أن يتماسّ السمك [٢] في الماء < بغير الماء > ، لأن الرطوبة لا يمكن أن تنسلخ جملة عن الأجسام التي في الماء . فإن الهوائي أحس [٣] بذلك .

واللمس قد يكون بتوسط أكثر من واحد وإن كان غير طبيعي ، كما يعرض ذلك إذا غشي بعينه ، فإنه قد يدرك الصلب واللين (ورقة ١٦٠ ب) والحار والبارد ، وكما يحس بتوسط المكاز [٤] مثلاً ، غير أنه وإن كان يحس بذلك فلسنا نحس كل أنواع الملموس ، فإنا لا نحس بتوسط المكّاز لا الحار ولا البارد . بل إنما نحس بالصلب واللين . وليس الحار والبارد عندما يغشى الجلد ، وليس إنما يكون الغشاء يخدم بل ينفعل من ذلك ويكون هو المحسوس أولاً .

وأما هل حاسة اللمس هو اللحم أو في اللحم ؟ فإن ذلك ليس يتبين [٥] ،

---

(١) والتفت ارسطو الى هذه المسألة في : De An. II. 11. 422 b 23

(٢) راجع كتاب النفس لاسحاق ، الاهواني ، ص ١٥٣ ؛ والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ ب ١٩ : « جواب گفت حاسه لمس ملموس رابيابجى هوادريابد ليكن هوا پوشيده بودودرين مثل زد گفت : اگر كسى دست بآب فروبرد وبيرون آوردبدست سنگى رابر گيرد چارميان سنگ ودست آب بود ليكن پنهان ازغابت لطافتش پس چون آب بتوسط ميتواند بودميان دست وآنچه بدست گيردبى آنكه نتوان ديداز لطافت هواسزوارتر كه در توسط پوشيده ماند كه هوا از آب بى لطيفتراست » . وابن رشد اقرب الى ابن باجة واظهر في البيان ، تلخيص : الاهواني ص ٥٠ ، وحيدر آباد ص ٤٥ .

(٣) المخطوطة : احسى ، وبالهامش : « احرى » .

(٤) المخطوطة : المعار ، وبالهامش : « المكاز » .

(٥) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : على ما نشاهد ان الحس في اللحم ، ولا يبالي ... هل اللحم هو الحاس ام الروح الغريزي ؟ واللحم له آلة » . ايضا ارسطو : Hist. An. I. 489 a 24

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لكنه كيف كان فهو متصل باللحم وهو أحد ما به قوام اللحم .

والملموسات ، فقد تلخص أمرها في مواضع كثيرة . فإن لها قوى شايعة في الجسم (١) ، قوامها في الجسم من حيث هو جسم . فلذلك تدرك اللامسةُ الأطوال والأشكال كما يدرك ذلك البصر .

فأما انه لا توجد حاسة غير اللمس ، فذلك قد يبين ما نقوله : وذلك أنه وإن وجدت فسيكون لها محسوس خاص ، وذلك المحسوس يجب ضرورة أن يكون محركاً جسمانياً . ولا محرك جسماني إلاّ هذه الخمس (٢) ولذلك لا يمكن أن تكون حاسة مفردة للمحسوسات المشتركة تحرك (٣) أشياء . فأمّا الحاس الذي يدركها فسنبين أمره بعد . وأيضاً فإنه إن كان ها هنا حاسة سادسة (٤) وجب ضرورة أن تكون لحيوان ما ، وذلك الحيوان يكون ضرورة غير الإنسان ، فإنما للإنسان هذه الخمس بالطبع ، فيكون ذلك الحيوان حيواناً ناقصاً (٥) . ومحال أن يوجد للناقص ما لا يوجد للتامّ . وقد تلخص في أول

---

(١) ايضا ارسطو : DeAn. III. 13. 435 a 20 ; De Part. An.II. 1. 647 a 15 ; Hist An. I. 3. 489 a 18 ابن رشد الاهواني ص ٤٧ وحيدراباد ص ٤١ .

(٢) أيضا ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٥٦ ، حيدر آباد ص ٥١

(٣) المخطوطة : لا تحرّك .

(٤) راجع ارسطو : De An. III. I. 424 b 22 ؛ وابن رشد : تلخيص ، الاهواني ص ٥٨ ، حيدرآباد ص ٥٣ .

(٥) وفي المخطوطة زيادة : « تخريجة كانت في الأصل المنقول منه هذه النسخة ، إن هذا القول زيادة ، مثاله اتذكر ها هنا القول الذي التف من الهيولى لأن البصر من ماء والسمع من هواء وكيف يلزم عنه ان لا تكون حاسة سادسة ؟ ، هذا منتهى . »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحيوان [١] كيف يشبه ما يوجد للحيوان الناقص ما لا يوجد من نوعه للحيوان الكامل وهو الإنسان كالجحفلة للحمار والخرطوم للفيل ، وسائر الأعضاء التي يختص بها حيوان حيوان ، وإن كان ذلك موجوداً [٢] للإنسان بوجه أكمل ، فإن الجحفلة والخرطوم هي يد ناقصة . وإذا كانت الأعضاء إنما تحد بغاياتها وبقوامها استعدادها لحصول تلك الغايات ، وكان ذلك موجوداً للإنسان أو ما يكون أفضل منها ، فيجب أن توجد للإنسان هذه الحاسة ضرورةً لئلاّ [٣] يكون هنا ما هو أفضل . وذلك بيّن مما تلخص من كتاب الحيوان .

* * *

(١) راجع ابن باجة : ورقة ١١٠ ب : « والاكمل هو الذي يوجد له جميع الاعضاء الافضل ، فان العظام فيما اعدت افضل من الشوك وكذلك جميع القوى ، والانسان افضل الحيوان لأنه يوجد له جميع أجزاء النفس ولما كانت اجزاء الجسد انما هي آلات نفسانية كالعروق والعضل ، ومنها ما يتم به قوام جميع جسده كالعظام فضرورة يجب حيث كانت اجزاء النفس اكثر ان يكون هناك عدد انواع الاعضاء اكثر ، وحيث كملت اجزاء النفس فهناك يكمل عدد انواع الاجزاء بالجملة ما كان منها عضواً وما كان منها شبيها حيوانياً . والانسان ففيه قوى النفس المشتركة ، وفيه قوى يختص بها هو وحده ، فلو كانت نفساً كما يجب ضرورة ان يستعمل آلة فكان يجب ضرورة أن يكون في الانسان نوع من الاعضاء لا يوجد في حيوان اصلاً » .

والنظر ارسطو : Hist. An. I. 2. 488 b 30; 486 b 18 ؛ وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٥٨ ، حيدر اباد ص ٥٣ .

(٢) المخطوطة : موجود .

(٣) المخطوطة : الا" .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفصل التاسع
في الحسّ المشترك [١]

فأما أن هذه الحواس كلها قوى لحاسّ واحد [٢] هو الأوّل وهو الذي يسمى الحسّ المشترك . فبين ما نقوله : أما وجود هذه القوة فقد تلخص فيما كتبناه في الحسّ مجملاً ، وهو الهيولى الذي تصير به المعاني محسوسة [٣] . (ورقة ١٦١ الف) ولذلك متى التبست باحدى الحواس تحركت مثل حركة هيولى تلك الحاسة ، فهي بالموضوع واحدة [٤] وبالقول كثيرة [٥] ، كما يعرض ذلك لمركز الدايرة [٦] فإنه بالموضوع واحد وبالقول كثير .

ولما كانت ها هنا محسوسات مشتركة فهنا ضرورة قوة مشتركة [٧] تقبل تلك [٨]. ففي اللمس والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل ذلك المعنى .

وهذه الحاسة التي كان البحث عنها أيّ شيء هي ؟ وأيضاً فإن هنا محسوسات مشتركة للحواس الخمس . فبين أن هناك قوة مشتركة لها . وتلك القوة تقضي

---

(١) عنوان مستقل في نسخة برلن .

(٢) راجع ارسطو : De An. III. 2. 425 b 11—22 ابن رشد تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٥٤ ، حيدر اباد ، ص ٤٨ ، ابن سينا أيضاً يصف الحس المشترك فيقول : (الشفا . ورقة ١٨٢ الف) بل الحس المشترك هو القوة التي تتأدّى اليها المحسوسات كلها .

(٣) المخطوطة : المحسوسة .

(٤) المخطوطة : واحد .

(٥) راجع ايضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٥٥ ، حيدر اباد ص ٤٩ .

(٦) يقول ابن رشد : هذا المثال كثيراً ما يستعمله الفلاسفة ، خصوصاً ارسطو وشراحه : المصدر السابق .

(٧) ايضا ، الاهواني ، ص ٥٤ .

(٨) المخطوطة ، هنا زيادة : هي اللمس والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل تلك.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على تغايير أحوال المحسوس (١) وتحسّ له أحوالاً (٢) كثيرة . فتدرك لكل جزء من التفاحة (٣) مثلاً أن له طعماً ورايحة ولوناً وحرارة أو برودة ، وتقضي أن كل واحد من هذه غير الآخر . فإنه لو كان في قوابل مضادة لها لما كان ممكناً أن تقضي أن هذا غير ذاك (٤) . فإنه يجب عندما تؤملت المغايرة ، كيف وجودها .

وفي هذه القوة تبقى الآثار المحسوسات (٥) عند انصراف المحسوس ، كما يعرض ذلك في الألوان ، فإن شان هذه القوة الاستمساك بالاحساسات وهي آثار المحسوسات فيها (٦) ، فإذا اتفق أن يوثر المحسوس أدرك هذا إدراك الأثر . فالقوى الست التي هي الغاية والخمس التي هي الحواس ، بين من أمرها أنها أنفس ، إذ هي استكمالات للأجسام ، والسابعة هي القوة المحركة وسنبين أمرها فيما بعد .

فأما أن وجدت قوة لا تستعمل آلة فتلك ليست نفساً إلاّ باشتراك . فالحس المشترك لما كان ضرورة صورة للحار الغريزي وجب ضرورة أن يكون نفساً . وليس بهذا النحو من النسبة قيل له نفس بل بكونه استكمالاً لا لجملة الجسد المؤلف لكن وجوده في الجسد إنما هو بوجوده في هيولاه الخاصة به وبه يصير

(١) قارن ارسطو : De An. III. 2. 426 b 10 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٥٤ .

(٢) المخطوطة : أحوال .

(٣) ابن رشد : المصدر نفسه . ويُظن أن أولَ من ذكر المثال المذكور الاسكندر الافروديسي .

(٤) وابن سينا ايضاً ذكر هذا الدليل فقال : (الشفا ، ورقة ١٨٢ ، ص ٣) « فانه لو لم تكن قوة واحدة تدرك المتوهّن والملموس لما كان لنا ان نميز بينهما قائلين انه ليس هذا ذاك » .

(٥) المخطوطة : المحسوسات القوة .

(٦) ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٦٣ ، حيدر اباد ص ٥٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالجملة[١] جزءاً من الجسد ، وبوجوده في ذلك أمكن اتصاله بالحواس وتحرّكها عن تحريكها ما ليس بذي جسم . وليس يتصل بما هو خارجٌ عنه .

وإنما يصير الحسّ المشترك صورة للجسم ذي الآلات بالتباسه للآلات . كالتباسه بالعين مثلاً . ولذلك لا يسمع النائم ولا يبصر . وذلك بيّن في الحيوان الذي لا يطبق عينيه عند النوم لأن تلك الصورة ليست في الجسم . لأن تلك الصورة لا تفارق هيولاها ، فاذا لم يوجد ذلك الجسم الذي له تلك الصورة في الحاسة لا تُحس . ووجود ذلك في الحاسة هو كالصورة لها على مثال ما يكون الربّان[٢] ضرورة (ورقة ١٦١ ب) في السفينة . وقد تلخص أمر هذه الصورة في غير هذا الموضع .

وأما اذا انفرد[٣] الحس المشترك فإنما هو نفس بوجه أنه صورة لجسم ما . ولذلك لا يوجد النوم في جميع الحيوان لأن الحار الغريزيّ لها موجود إنما في الحاسة لأن التقدم[٤] والتأخر[٥] فيها واحد أو كالواحد ، وقد تلخص أمر هذا في كتاب الحيوان .

---

(١) المخطوطة : الجملة .

(٢) وانظر ابن باجّة نفسه ، ورقة ٦٠ الف ، « فان النفس في البدن كالربان في السفينة فان الربان في السفينة صورة الا انهـا مفارقة » ، وراجع ارسطو : De An. I. 3. 406 a 6; II. I. 413 a 9 .

(٣) قارن ابن باجة : النص نفسه : ورقة ١٥٥ الف : « ان القوة اذا انفردت عن الحاسة كانت هي الحس المشترك . وقد قال ابن باجة في كتاب الحيوان : ورقة ٩٥ ب : فالحس ينفرد عن الحركة بالقول كما ينفرد الهيولى من الصورة بالقول الذي يلخص به ما هي بالأسباب المقومة لها وهي فيها .

(٤) المخطوطة : المتقدم .

(٥) المخطوطة : المتأخر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فإن وجد حيوان[١] له قوة أخرى ليست صورة لجسم أصلاً . فتلك ليست نفساً إلا بنحو من اشتراك الاسم . مثل أن تكون قوة لحضوره[٢] للحس المشترك ويكون الحس المشترك كالهيولى فيها فتكون تلك[٣] صورة لهيولى الحس المشترك لكن ليست أولى . فلذلك تكون هذه القوة قوة واسطة بين النفس وبين القوى التي ليست بأنفس يأخذ كل واحد منها بقسط ، وسنبين ذلك فيما بعد . وهذه القوة هي قوة التخيل .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي

---

(١) المخطوطة : الحيوان .

(٢) يعني ان الجسم عندما وجد في الحس المشترك يحتاج الى قوة حاملتها الحس المشترك وصارت القوة صورة للحس المشترك . راجع ابن سينا ، (الشفا) ورقة ١٨٠ الف ١٨ : « فان الحس المشترك قابل للصورة لا حافظ ، والقوة الخيالية حافظة لما قبلت تلك ، والسبب في ذلك ان الروح التي فيها الحس المشترك انما تثبت فيها الصورة المأخوذة من خارج منطبعة مادامت النسبة المذكور بينها وبين المبصر محفوظة أو قريبة المهد . فاذا غاب البصر انمحت الصورة عنها ، ولم تثبت زمانا يمتد به » .

(٣) المخطوطة : ذلك .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net